

ديالكتيك القومية بديالكتيك الاستعمار والتحرر يعطي جوابا ناقصا لا يغادر «نقصه» الا بالرجوع قليلا الى السمات التاريخية للتشكيلات الاجتماعية في آسيا وأفريقيا .

عانت بلدان آسيا وأفريقيا لمدة طويلة من الهيمنة السياسية الأجنبية التي حرمتها من حركتها السياسية المستقلة وحرمتها بالتالي من تقاليد دولوية *étatique* راسخة ، سواء كانت هذه الهيمنة اوروبية أو غير اوروبية (فارسية صينية ، عثمانية ) ، يضاف الى ذلك ان هذه البلدان لم تعرف الا نادرا التشكيلات «القومية» الواسعة ، اي السلطة السياسية المركزية المقادرة اداريا على تحريك قطاعات واسعة من المجتمع ، فقد حكمت علاقاتها الاجتماعية غالبا بالقوانين القبلية والعشائرية والعائلية والدينية والاقوامية ، ربما يشذ عن ذلك بعض البلدان التي عرفت تقاليد مركزية مثل الصين ومصر .

لم تعرف هذه البلدان النظام السياسي القادر على كسر «الولاءات البدائية» وتحويلها الى ولاء واحد: الولاء القومي . فطبيعة النظام السياسية وحدود تطوره التاريخي لم تسمح للفرد ان يتعرف على ذاته علاقة من أمة او وجها في شعب ، بل تركته ودفعته يبحث عن امانه الاجتماعي وعن صورته الاجتماعية في احضان قبيلته او طائفته . . . ، اي ان الشكل البدائي للسلطة السياسية المحدد بشرط اجتماعي متخلف انتج دائما ولاء بدائيا . وهذا ما جعل هذه «السلطة» عاجزة غالبا عن القيام بتعبئة جماعية لكل قطاعات المجتمع ضد الغزو الخارجي .

ويجب ان نشير هنا الى ان بعض البلدان الافرو - آسيوية قد عرفت تقاليد مركزية مرتبطة بنمط الانتاج الآسيوي أي بسلطة مركزية للدولة على الاقتصاد ، ومن الطبيعي ان ينتج عن ذلك بغض «السمات القومية» . وهذا ما يدفع سمير أمين للحديث عن تشكيلات قومية سبقت تاريخيا نمط الانتاج الرأسمالي ، ويضرب مثلا على ذلك مجال اليونان القديمة والدولة العربية في عصرها الذهبي (٩) . مع ذلك فان السمات القومية المرتبطة بنمط الانتاج الآسيوي لا تدين بوجودها لممارسة دولوية *étatique* توحيدية بالمعنى المادي للكلمة ، بل تعود الى الممارسة الاستبدادية المميزة لهذا النمط من الانتاج ومرهونة به تاريخيا .

دفع الغزو الاستعماري السمات القومية في شكلها التاريخي (محدوديتها) من حالة «الكمون» الى حالة «اليقظة» منتجا بذلك الايدولوجيا القومية .

القومية في آسيا وأفريقيا تطلع وطموح اي أنها ايدولوجيا قومية تبشر لمستقبل وتناضل - بشكل متفاوت - لخلق الاساس المادي لها ولقدماتها الاساسية . تقوم هذه القومية في مستنوى البنيان الفوقي عقيدة تبشيرية وفكرا مناضلا لا يعكس واقعا بل يطمح اليه (١٠) . لذلك نقول ان العلاقة التي تحكم